منهج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مواجهة حركة الردة وتسوية مشاكلها

د. سعد بن عبدالرحمن العبيسي
قسم التاريخ والحضارة ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كانت قريش إمام الناس، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب، وكان عرب الجزيرة لا ينكرون ذلك(١)، بل كانوا يعرفون لقريش السؤدد، والرئاسة والفضل، وكانوا يحتكمون إليها في كثير من أمورهم.

ولما كانت قريش قد نصبت الحرب لرسول الله ﷺ ولدعوته، تلوَّم(٢) كثير من عرب الجزيرة عن إجابة الدعوة والدخول في الإسلام، فقد كان تأخر إسلام قريش عقبة كؤودًا في طريق إسلام عرب الجزيرة، روى البخاري عن عمرو بن سلمة قال: "كانت العرب تلوَّمُ بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح - سنة ثمان للهجرة - وأسلمت قريش وثقيف، بادر كل قوم بإسلامهم"(٣)؛ فقد عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب الرسول ﷺ، ولا عداوته، فأخذت وفودهم

---

(١) ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ورفاقه، ج ٤، ص ٢٢٢، وابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) تَلَوَّمَ: انتظر وتمهل.

(٣) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري. نشر دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٨، ص ٢٢.

تضرب إلى المدينة المنورة من كل وجه، فدخلوا في دين الله أفواجاً(٤)، واعترفوا بالدولة الإسلامية ودانوا لها، وفي السنة العاشرة من الهجرة بعث الرسول ﷺ أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان في جزيرة العرب(٥)، وبذلك صارت جزيرة العرب دار إسلام وأمن وسلام، وتحققت لها الوحدة السياسية ممثلة في الدولة الإسلامية التي اتخذت من المدينة المنورة حاضرة لها.

بيد أن طائفة من عرب الجزيرة ممن كانوا حديثي عهد بالإسلام غلب عليهم ضعف الإيمان، فاستثقلوا أحكام الإسلام، وشعائره وحدوده، وظلوا متأثرين بأخلاق الجاهلية ومثلها وتصوراتها؛ مما جعلهم مترددين في اعتناق الإسلام، بل إن بعضهم ينتظر فرصة للخروج منه، فلما مرض الرسول ﷺ في شهر صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، تنبأ الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وطليحة الأسدي في بني أسد.

ثم لما توفي الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، وأنفذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما انقسم عرب الجزيرة إلى أربعة أقسام: طائفة بقيت على ما كانت عليه في حياة الرسول ﷺ، وهم الجمهور، وطائفة بقيت على الإسلام غير أنها شحت على مالها فمنعت الزكاة، وهم كثير، لكنهم قليل بالنسبة للطائفة الأولى، والثالثة أعلنت الكفر والردة عن الإسلام، وتبعوا من ادّعى النبوة، وطائفة توقفت، فلم تطع أحداً من الطوائف الثلاث، وتربصوا لمن تكون الغلبة(٦)، وكان في كل قبيلة من

---

(٤) ابن هشام، مصدر سابق.

(٥) ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٧١، والطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، القاهرة، ج ٣، ص ١٤٧.

(٦) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ج٢، ص ٢٨٨.

قبائل العرب المرتدة مسلمون يقاتلون من ارتد، غير أن الشوكة في تلك القبائل كانت للمرتدين، وكان لردة من ارتد من عرب الجزيرة عن الإسلام، وتمردهم على حكومة المدينة، وخروجهم على جماعة المسلمين أسباب عدة منها:

١- ضعف الإيمان:

كان عامة المرتدين يغلب عليهم ضعف الإيمان؛ لأنهم حديثو عهد بالإسلام، فلم يتفقهوا في الدين، ويتعلموا شعائره، ويتخلقوا بأخلاقه وقيمه، بل ظلوا متأثرين بأخلاق الجاهلية ومثلها وتصوراتها، واستثقلوا أحكام الإسلام وشعائره وحدوده، فلما سنحت لهم الفرصة بوفاة الرسول ﷺ عادوا إلى ما كانوا عليه من لهو وضلال.

٢- وفاة الرسول وإنفاذ بعث أسامة:

كان عامة المرتدين يعتقدون أن الإسلام يعني الخضوع والتبعية لشخص الرسول ﷺ، وكان بعضهم يعتقد أن الرسل لا تموت، فلما توفي الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة وجدوا أن إسلامهم المتمثل في الخضوع والتبعية السياسية لحكومة المدينة انتهى بوفاة الرسول ﷺ، فتمردوا على حكومة المدينة، وامتنعوا عن بيعة أبي بكر بالخلافة. فقال شاعرهم الخطيل بن أوس:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر!(٧)

٣- الرغبة في الملك:

كان المتنبئون وغيرهم ممن قاد عشيرته إلى الردة يسعون لبناء ملك ومجد تليد لهم ولقومهم، فقد نظروا إلى نبوة محمد بن عبدالله ﷺ

---

(٧) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، نشر دار هجر، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٤٤٣.

على أنها ملك ومجد تليد لقريش، فأرادوا أن يحذوا حذوه - عليه الصلاة والسلام - لعلهم ينجحون في إقامة ملك لهم كما نجح في إقامة دولة في المدينة، خضع لها أغلب العرب في جزيرتهم، فارتدوا عن الإسلام، وأخذوا يتسابقون في إقامة كيانات سياسية مستقلة، فهم يريدون من ردتهم وادّعائهم النبوة الملك والسلطان والجاه والشرف، يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "قدم مسيلمة الكذاب في بشر كثير من قومه إلى المدينة، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته"، وفي رواية أخرى أنه قال: "يا محمد، إن جعلت لي الأمر بعدك آمنت بك وصدقتك"(٨).

٤- العصبية القبلية:

كان الانتماء إلى القبيلة والفخر بأمجادها والخضوع لتقاليدها وأعرافها وعاداتها من أقوى الروابط الاجتماعية التي كانت تربط بين أفراد العشيرة والقبيلة في جزيرة العرب قبل الإسلام، فلما بعث الرسول ﷺ صارت العقيدة ركيزة أساسية لبناء المجتمع، وصارت الأخوة في الدين رابطة قوية تربط بين أفراد الأسرة والجماعة والأمة الواحدة، بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية، بيد أن عامة المرتدين لم يدركوا أخوة الدين وحلاوة الإيمان وسكينته، فظلت أعراف الجاهلية وتقاليدها وعاداتها ومثلها مسيطرة عليهم، فهذا عيينة بن حصن الفزاري يقول لقومه بعد وفاة الرسول ﷺ: والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد، وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه عصبية، وهذا طلحة النمري يقول لمسيلمة: "أشهد أنك كاذب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"(٩).

---

(٨) ابن حجر، مصدر سابق، ج ٧، ص ٦٩٠.

(٩) الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٥٧ و ٢٨٦.

٥- الشح على المال وعدم فقه شرعية الزكاة:

لما توفي الرسول ﷺ انقسم عرب الجزيرة إلى أربعة أقسام(١٠)، فكانت منهم طائفة بقيت على الإسلام، غير أنها امتنعت عن دفع الزكاة، وانقسمت قسمين: قسم علل امتناعه عن دفع الزكاة بأنه شح على ماله معتقداً أن الشح على المال، والامتناع عن دفع الزكاة لعمالها لا يخرجه عن دائرة الإسلام، فلما عوتب على ذلك قال: "والله ما كفرنا بعد إيماننا، وما رجعنا عن دين الإسلام، ولكن شححنا على أموالنا"(١١).

أما القسم الآخر فلم يفقه شرعية الزكاة فجحدها، وامتنع عن دفعها لعمال الصدقات معللاً ذلك: بأن مرتدة العرب لا تطيب بها نفساً؛ لأنها في نظرهم إتاوة كانت تؤخذ منهم بغير وجه حق، فقومهم أحق بها من غيرهم(١٢).

---

(١٠) سبق ذكر الأقسام في مطلع البحث.

(١١) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)، كتاب الردة، تحقيق د. يحيى الجبوري، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٠٠، وانظر الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى البلنسي (ت ٦٣٤هـ تقريباً)، الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، اقتباس وتهذيب خورشيد أحمد فاروق، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ١٧٠ - ١٧١، والماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ص ٥٧.

(١٢) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٩، والواقدي، مصدر سابق، ص ١٠٤، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٥٢.

القسم الأول: منهج أبي بكر الصديق في مواجهة حركة الردة في جزيرة العرب

حرص أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على اتباع هدي الرسول ﷺ في كل ما نزل بالأمة من نازلة، فلما أشار عليه بعض الصحابة أن يمسك بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما لاحتياجه إليه في تلك الظروف، ولأن ما جهز بسببه كان في حال السلامة، وقالوا له: أمسك أسامة وبعثه، فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة الرسول ﷺ، فقال أبو بكر: أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ؟ لقد اجترأت على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إليّ من أن أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ، ولو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذته كما أمر به رسول الله ﷺ(١٣)، ولما أشار عليه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يتألف مانعي الزكاة حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، وألا يقاتلهم لوجود شبهة بقائهم على الإسلام، وبالتالي حصانة دمهم بالشهادة(١٤)، وضح له وجه الحق في المسألة بالحجة والبيان، ورفض إعفاءهم من الزكاة؛ لأنه مخالف لهدي الرسول ﷺ في إقامة أركان الإسلام وشعائره، فالتفريط بشيء منها سيؤدي إلى انحلال عرى الإسلام وإلى التفريط بمصلحة العقيدة والدولة.

يروى عن عائشة قولها: توفي النبي ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرأب النفاق بالمدينة، وارتد العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وفنائها في الإسلام، وفي رواية: بحظها من الإسلام، وفي أخرى: إلا طار أبي إلى أعظمها في الإسلام(١٥).

---

(١٣) ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٣٨.

(١٤) ابن حجر، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٩٠، والعمري: د. أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٦٧.

(١٥) ابن خياط: أبو عمرو خليفة خياط (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: د. أكرم العمري، د. ن، ص ١٠٢، وابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: عبدالغفور الأفغاني، نشر الدار السلفية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٥، ص ٥٧٢، والذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - عهد الخلفاء الراشدين - تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٨. ومعنى حظها وفنائها في الإسلام: أي أعظمها أثراً في الإسلام.

كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحزم الصحابة أمراً، فقد عقد العزم على قتال مانعي الزكاة، والتصدي لحركة الردة بصورة عامة بحزم وشجاعة وثبات على الحق، فسلك منهجاً واضحاً ارتكز على أربعة محاور:

١ - الأول: التثبت من وقوع الردة.

٢ - الثاني: اتخاذ الإجراءات الأمنية والعسكرية لأمن المدينة وحمايتها من خطر المرتدين.

٣ - الثالث: بيان حقيقة الإسلام ودعوة المرتدين للرجوع إليه.

٤ - الرابع: إعلان الحرب على من لم يرجع إلى الإسلام من المرتدين.

تمثل هذه المحاور صورة عامة لمنهج أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مواجهته لحركة الردة في جزيرة العرب.

المحور الأول: التثبت من وقوع الردة

انتهج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مواجهته لردة العرب وتصديه لها منهج الرسول ﷺ في مثل هذه الحالة، وهو التثبت من وقوع الحدث، ممتثلاً قول الله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾**(١٦).

لم يبدأ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتال المرتدين عقب سماع خبر الردة، بل انتظر حتى قدمت رسل النبي ﷺ، فدفعوا كتبهم لأبي بكر الصديق، وأخبروه والمسلمون في المدينة بخبر مسيلمة وطليحة الأسدي، ثم جاءت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان تخبر أبا بكر والمسلمين في المدينة بخبر ردة كثير من عرب الجزيرة وتسلطهم على المسلمين(١٧)، ثم قدم عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عُمان، فأخبر أبا بكر

---

(١٦) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(١٧) كان النبي ﷺ قد بعث في السنة العاشرة من الهجرة أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٧١، وانظر ابن الأثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٥.

والمسلمين في المدينة بما كان في طريقه من خبر الردة من عُمان إلى البحرين إلى بلاد بني عامر حتى وصل إلى ذي القَصَّة(١٨)، وأخبر المسلمين أن عساكر الردة معسكرة من دَبا بعُمان إلى المدينة(١٩).

وقد أكدت تلك الشواهد وغيرها لأبي بكر والمسلمين في المدينة وقوع الردة في كثير من أمصار جزيرة العرب، ووجه المرتدون الأذى إلى مسلمي قومهم.

وقد اتخذت ردة العرب مظاهر عدة، استدل بها أبو بكر والمسلمون في المدينة وغيرها من بلدان جزيرة العرب على ردة من ارتد من عرب الجزيرة ونوعها، ويمكن ذكر أهم مظاهر الردة في الفقرات الآتية:

١- التنبؤ:

كان الرسول محمد بن عبدالله ﷺ خاتم النبيين، به ختمت النبوة، فلا نبي بعده، وقد صرحت النصوص بذلك، وقطعت به قطعاً يقينياً، وصارت المسألة لدى المسلمين من المسائل اليقينية المتواترة المجمع عليها، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾(٢٠)، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"(٢١)، وروى أبو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه قال:

---

(١٨) ذو القصة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد.

(١٩) كان الرسول ﷺ قد أرسل عمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندي عند منصرفه من حجة الوداع، فمات رسول الله ﷺ وعمرو بعمان. يراجع ابن الأثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٢٠) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢١) القشيري: الإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ج٢، ص ٦٤.

"قال رسول الله ﷺ في حديث طويل ... وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ... الحديث"(٢٢).

وإذا كانت نصوص القرآن والسنة قد صرحت تصريحاً واضحاً، وقطعت قطعاً يقينياً جازماً بأن الرسول محمد بن عبدالله ﷺ هو خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، ورسالته خاتمة الرسالات، فلا رسالة بعدها، فإن مرض الرسول ﷺ الذي توفي فيه، ثم وفاته عليه الصلاة والسلام قد أفرزتا ظهور عدد من المتنبئين في جزيرة العرب، تشوفوا إلى المُلك فلم يجدوا إليه سبيلاً إلا بادّعائهم النبوة، فادّعوا النبوة، وتقلدوا الحكم في مناطق نفوذهم، فالتنبؤ يعدّ مظهراً من أشد مظاهر الكفر والردة عن الإسلام، ويعد دليلاً قاطعاً على ردة من اتبع المتنبئين وآزرهم من عرب الجزيرة تصديقاً بهم، أو عصبية لهم.

فقد تنبأ الأسود العنسي في اليمن، وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ(٢٣)، وتنبأ مسيلمة بن حبيب(٢٤) في اليمامة، وتنبأ طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وتنبأت سجاح بنت الحارث التميمية في بني تميم بنجد.

---

(٢٢) أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق: الدعاس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث (٤٢٥٢)، الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، السنن، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٩٨هـ، رقم الحديث (٢٢٠٢ و ٢٢١٩).

(٢٣) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٢٨.

(٢٤) هذا هو المشهور في نسبه في المصادر المتقدمة، انظر: الواقدي، مصدر سابق ص ١٠٨ - ١٠٩، وابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ت، ج١، ص ٣١٦، وابن خياط، مصدر سابق، ص ٩٣، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ١٣٧، أما عند ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٥، ص ٥٠، والذهبي: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ص ٣١، وابن حجر في فتح الباري، ج٧، ص ٦٩١، فإن نسبه: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب، وقد أورد ابن هشام في السيرة النبوية النسبين معاً، فقد ورد مسيلمة بن حبيب في ج ٤، ص ٢٣٤، بينما ورد مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب في ج ٤، ص ٢٤٣.

٢- المساومة في أحكام الإسلام:

كانت بعض العشائر العربية التي تقيم في شمال المدينة غير صادقة في إسلامها وولائها لحكومة المدينة، فكانت خلال مرض الرسول ﷺ الذي توفي فيه متذبذبة في إسلامها، فلما علمت بوفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام - اجتمعت بالأبرق من الربذة(٢٥)، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلما خرج أسامة بن زيد بجيشه إلى جنوب الشام، انتهزت تلك العشائر الفرصة فتحركت، واحتشدت في ضواحي المدينة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القَصّة، وأمدهم طليحة بن خويلد الأسدي بأخيه، فكان عليهم وعلى من انضم إليهم.

كانت العشائر العربية التي أقامت بالأبرق وبذي القصة قد شحت بمالها، وجحدت الزكاة، وأنكرت شرعيتها بعد وفاة الرسول ﷺ. فأرسلت العشائر التي أقامت بالأبرق وفداً إلى المدينة؛ ليفاوض أبا بكر الصديق في مسالمته، والدخول في طاعته، على أن يقيموا الصلاة، ويعفوا من الزكاة(٢٦).

جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة وعرض عليهم المسألة، وكان رأيه رفض طلب الوفد، فلما ناظره الصحابة في ذلك قال: والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية: عقالاً - كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة(٢٧).

أدرك أبو بكر رضي الله عنه أن المساومة في أحكام الإسلام سوف تؤدي إلى انحلال عُرى الإسلام، وإلى التفريط بمصلحة العقيدة والدولة،

---

(٢٥) الربذة: بفتح أوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة، من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز لمن رحل من فيد يريد مكة، الحموي: ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، نشر دار صادر ودار بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٧٥م، ج١، ص ٦٨.

(٢٦) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٤.

(٢٧) ابن حجر، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٩٠.

وهذا الوضوح في فهم ارتباط الأحكام الشرعية بعضها ببعض، ورفض تعطيل أي حكم منها، كان مهماً لقتال مانعي الزكاة بصورة خاصة، حيث تنقدح شبهة بقائهم على الإسلام، وبالتالي حصانة دمهم بالشهادة(٢٨)، وقد عالج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه المسألة بالحجة والبيان، إذ قال لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ناظره في المسألة قائلاً: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال"(٢٩).

وقال أبو بكر مخاطباً عمر: "أرأيت لو سألوا ترك الصلاة؟ أرأيت لو سألوا ترك الصيام؟ أرأيت لو سألوا ترك الحج؟ فإذاً لا تبقى عروة من عُرى الإسلام إلا انحلت"(٣٠). يقول عمر: "فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق، فشرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقاتلنا معه، فكان والله راشداً"(٣١).

انشرحت صدور الصحابة لرأي أبي بكر في قتال مانعي الزكاة، وعلموا أنه الحق، فأيدوه في ذلك وآزروه، وقالوا له: أنت أفضلنا رأياً، ورأينا لرأيك تبع(٣٢)، هذا وقد عدَّ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جحود الزكاة وإنكار شرعيتها وامتناع دفعها لعمال الصدقات والتفاوض في تعطيلها من المساومة في أحكام الدين التي تعد مظهراً من مظاهر الردة عن الإسلام.

---

(٢٨) العمري، مصدر سابق، ص ٣٦٧.

(٢٩) ابن حجر، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٩٠.

(٣٠) الماوردي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٣١) ابن أبي شيبة، مصدر سابق، ج١٤، ص ٥٧٢، وابن حجر، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٩٠، والماوردي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٣٢) الكلاعي، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٧١.

٣- استيلاء المرتدين على المدن وتبسطهم في إلحاق الأذى بمسلمي قومهم:

كان الرسول ﷺ قد بعث بعد منصرفه من حجة الوداع أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان(٣٣) في جزيرة العرب، فلما توفي عليه الصلاة والسلام، أقرهم أبو بكر على أعمالهم، غير أن المرتدين في اليمن وعمان والبحرين واليمامة وغيرها من بلدان جزيرة العرب عَدَوا على من فيهم من أمراء وعمال دولة الخلافة الراشدة، فعزلوهم عن أعمالهم، وطردوهم منها، واستولوا على كثير من المدن في اليمن وغيرها من بلدان جزيرة العرب، وتقلدوا الحكم فيها، وعدوا على من استقام على دينه من مسلمي قومهم، فقاتلوهم، وتبسطوا بإلحاق الأذى بهم، فقد وثب بنو ذبيان وبنو عبس على مسلمي قومهم فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم(٣٤).

كذلك فإن المرتدين لم يعترفوا بخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل أعلنوا تمردهم وعصيانهم على حكومة المدينة، وشقوا عصا الطاعة، وخرجوا على جماعة المسلمين، وأخذوا يخططون لغزو المدينة والقضاء على الخلافة، بل إن بعض العشائر العربية التي كانت تقيم شمال المدينة غزت المدينة، فتصدى لهم أبو بكر والمسلمون في المدينة، فأرجعوهم على أعقابهم خاسرين، وهكذا تعددت مظاهر الردة التي وقعت في جزيرة العرب خلال مرض الرسول ﷺ وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

---

(٣٣) ابن هشام، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٧١.

(٣٤) ابن كثير، مصدر سابق، ج١٠، ص ٤٤١ و ٤٤٣.

المحور الثاني: إجراءات أبي بكر الأمنية والعسكرية لأمن المدينة وحمايتها من خطر المرتدين

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خبيراً بالأمور، بصيراً بالسياسة، يشاور في المسألة ويعالجها بحكمة وروية، فقد أدرك أن وفد العشائر العربية المقيمة بالأبرق الذي قدم إلى المدينة للتفاوض حول تعطيل الزكاة، قد اطلع على عورة المدينة في أثناء مروره بأنقابها ووجوه فيها، فعلم أن ليس بالمدينة قوة تدفع هجوماً(٣٥)، وأدرك أبو بكر أيضاً ضعف القوة العسكرية في المدينة، وفي أنقابها عقب خروج أسامة بن زيد بالجيش إلى أطراف الشام الجنوبية، فكان أبو بكر يتوقع أن تقوم العشائر العربية المقيمة بالأبرق بغزو المدينة ليلاً أو نهاراً بعد عودة وفدها إليها الذي أخفق في مهمته، وأخرج من المدينة.

لذا وضع أبو بكر الصديق تدابير أمنية وعسكرية لأمن المدينة وحمايتها من هجوم المرتدين، ودرء الخطر عنها، وتتمثل تلك التدابير في الآتي:

١- حفظ المدينة وحراستها:

ولى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حفظ المدينة المنورة وحراستها، وأمره ألا يترك أحداً من أهل البادية أن يدخل المدينة، ولا يدنو منها(٣٦).

٢- مراقبة الأوضاع العامة حول المدينة:

جعل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها، وهم: عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله

---

(٣٥) د. محمد أمين صالح: الدولة العربية الإسلامية، نشر مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٥٠.

(٣٦) الواقدي، مصدر سابق، ص ٦٩.

بن مسعود، رضي الله عنهم(٣٧)، وجعل من دونهم أقواماً يدرجون ينبهونهم(٣٨) بما يقع من أحداث؛ وذلك لمراقبة الوضع العام حول المدينة، وحماية أنقابها، وإعلام أبي بكر والمسلمين في المدينة بأي تحرك عسكري نحو المدينة، لأخذ الحيطة والاستعداد؛ لئلا يؤخذ المسلمون في المدينة على غرة.

٣- اتخاذ المسجد النبوي مركزاً للقيادة:

أمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهل المدينة بالحذر والحيطة والاستعداد، وأن يكونوا قريبين من المسجد النبوي(٣٩) الذي أصبح مركزاً للقيادة؛ وذلك لتسهل حمايتهم، ويستفاد منهم في التصدي لأي طارق يريد انتهاك حرمة المدينة وأمنها.

٤- إعلان حالة الطوارئ والاستنفار العام في المدينة:

أعلن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حالة الطوارئ والاستنفار العام في المدينة، وقال لأهل المدينة: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا(٤٠).

٥- اتخاذ زمام المبادرة بالهجوم على العدو في عقر داره:

لما أخفق وفد مانعي الزكاة في مهمته أجّلهم أبو بكر يوماً وليلة، ثم أخرجهم من المدينة، فتطايروا إلى عشائرهم بالأبرق، وأخبروهم أن ليس بالمدينة قوة عسكرية تدفع هجوماً، وأطمعوهم بغزوها(٤١).

---

(٣٧) ابن كثير، مصدر سابق، ج ١٠، ص٤٣٧.

(٣٨) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٥.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٦، وابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٣٧.

(٤١) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٤ - ٢٤٦، ٢٥٨.

ساروا من الأبرق، فلما وصلوا إلى ذي حسي تركوا نصفهم فيها؛ ليكونوا لهم ردءاً(٤٢)، ثم أغاروا على المدينة ليلاً، فعلم من كان يدرج دون حرس الأنقاب، فنبهوهم بذلك، فتصدى لهم حرس الأنقاب، وأخبروا أبا بكر بذلك، فأرسل إليهم أن الزموا أماكنكم ففعلوا، ثم خرج أبو بكر بأهل المسجد على الإبل، فانهزم العدو، فتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسي، غير أن المسلمين وقعوا في مكيدة للقوم، وذلك أن الرِّدء بذي حسي نفخوا أنحاء(٤٣)، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها حتى دخلت بهم المدينة، إلا أن الله حفظهم، فلم يصرع مسلم ولم يصب(٤٤).

ظن القوم بالمسلمين الوهن، فأرسلوا إلى أصحابهم بذي القصَّة بالخبر؛ ليجتمعوا ويعاودوا الكرة لغزو المدينة، فقدموا عليهم بذي حُسِّي(٤٥)، غير أن أبا بكر بات ليلته تلك يجهز الناس، ويهيئهم للحرب، وجعل لهم ميمنة وميسرة وساقة، ثم أغذَّ السير ليلاً، فما طلع الفجر إلا والمسلمون قد وصلوا إلى عدوهم، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً، فوضعوا فيهم السيف، وأمعنوا فيهم القتل، حتى ولّوا الأدبار، فغلبهم المسلمون على عامة ظهرهم وغنموه، ثم سار أبو بكر بالمسلمين حتى نزل بذي القصَّة، فوضع فيها فرقة عسكرية بقيادة النعمان بن المقرِّن، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيداً منصوراً سالماً غانماً(٤٦).

---

(٤٢) ابن كثير، مصدر سابق، ج٦، ص ٣١٣.

(٤٣) النِّحي: هو الزق ينفخ بالهواء، ثم يدهده، فيحدث صوتاً تنفر منه الإبل.

(٤٤) الطبري، مصدر سابق.

(٤٥) حُسِّي: بالضم والقصر، واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان، ياقوت، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٥٨.

(٤٦) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٦.

لم يكن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطمئناً إلى وجود بعض العشائر المرتدة بالأبرق من الربذة، إذ إن وجودها بالربذة يمثل خطراً على أمن المدينة، فلما قدم أسامة بن زيد بجيشه استخلفه على المدينة، وأبقى جنده معه؛ ليستريحوا ويريحوا ظهرهم(٤٧)، ثم خرج أبو بكر في الذين خرجوا معه إلى ذي القصَّة والذين كانوا على الأنقاب، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك؛ فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمّرت آخر، فقال أبو بكر: لا والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبئة إلى ذي حُسِّي وذي القصة حتى نزل على أهل الرَّبذة، وكان فيها جماعة من بني عبس وذبيان وطائفة من كنانة، فهزم الله تلك العشائر، وولّت الأدبار، فلحقت بطليحة بن خويلد الأسدي في البزاخة، وانضمت إليه(٤٨)، وأقام أبو بكر بالأبرق أياماً، ثم رجع إلى المدينة.

كان لإجراءات أبي بكر وتدابيره العسكرية والأمنية ووقائعه مع مانعي الزكاة وانتصاره عليهم أثر كبير في درء الخطر عن المدينة، وحمايتها، وفي استتباب الأمن واستقرار الأوضاع العامة في المدينة وما حولها.

المحور الثالث: بيان حقيقة الإسلام ودعوة المرتدين للرجوع إليه

كان كثير من المرتدين حديثي عهد بالإسلام، فلم يرسخ الإيمان في قلوبهم، ولم يفقهوا أصول الإسلام وأركانه وقواعده العامة، ولم يتعلموا شعائر الإسلام ويتخلقوا بأخلاقه وقيمه، بل ظلوا متأثرين بأخلاق الجاهلية، ومثلها وتصوراتها، فاستثقلوا أحكام الإسلام وشعائره وحدوده، فاعتقد بعضهم أن الإسلام يعني الخضوع والتبعية لشخص الرسول ﷺ ما دام على قيد الحياة، فإذا مات انقطع

---

(٤٧) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٣.

(٤٨) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٧-٢٤٨، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٣.

إسلامهم، واعتقد بعض زعمائهم أنه يمكن أن يحقق ما حققه الرسول ﷺ من اجتماع كلمة العرب تحت قيادته عن طريق التنبؤ، فادَّعى النبوة، إذ رأى أنها سلم للملك والمجد والجاه، بينما اعتقد بعضهم خصوصاً من كان قريباً من المدينة أن المساومة في أحكام الإسلام، وأركانه وقواعده العامة، وتعطيل بعضها لا يؤثر على إسلامهم.

فأراد أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبين لعموم المرتدين حقيقة الإسلام؛ ليكونوا على دراية من أمرهم فيرجعوا إلى الإسلام، وأخبرهم أن الدولة الإسلامية لا تقبل المساومة في أحكام الإسلام وأركانه، وقواعده العامة، فإما أن ينقادوا لأحكام الإسلام وأركانه، وشعائره وأخلاقه وآدابه وقواعده العامة، انقياداً تاماً ممتثلين قول الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤٩)، وإما أن يعرِّضوا أنفسهم للقتل، ونساءهم وذريتهم للسبي، فأرسل إلى عموم المرتدين كتاباً واحداً يبين فيه حقيقة الإسلام ويدعوهم للرجوع إليه(٥٠). وقد تضمن كتاب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عموم المرتدين النقاط الآتية:

١ - إعلام المرتدين أن الله أرسل محمداً ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً.

٢ - إعلام المرتدين بأن المسلمين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ويقرون بما جاء به، ويكفّرون من أبى ذلك، ويجاهدونه.

---

(٤٩) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥٠) للوقوف على نص كتاب أبي بكر إلى عموم المرتدين انظر الملحق رقم (١)، ففيه نص الكتاب كما أورده الطبري وابن كثير.

٣ - إعلام المرتدين أن الإسلام دين الله للناس جميعاً، وأن الرسول محمد بن عبدالله ﷺ قد أدى ما أوحي إليه، وبلّغ رسالته للناس جميعاً ونصح الأمة، وقضى الذي عليه وانتقل إلى الرفيق الأعلى كغيره ممن سبقه من الرسل، وبه ختمت الرسالات فلا نبي بعده، وقد بيّن الله ذلك في الكتاب الذي أنزل على رسوله قال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾(٥١)، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، وهو حافظ لأمره، منتقم من عدوه.

٤ - إعلام المرتدين أن خبر ردتهم عن الإسلام قد وصل نبؤه بطرق صحيحة عدة إلى رئاسة الدولة الإسلامية بالمدينة، فقال: "قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان"(٥٢).

٥ - إعلام المرتدين أن من أقام على إسلامه، وأدى شعائر دينه وأركانه، فهو مهديّ معان منصور، له الأمان، والسلام في بلده.

٦ - إن خليفة المسلمين أبا بكر يوصي من أقام على إسلامه، وأدى شعائر دينه وأركانه بتقوى الله، وما جاء به نبيه ﷺ، وأن يهتدوا بهداه، وأن يعتصموا بدين الله.

٧ - أن من رجع عن الإسلام بعد أن أقر به فهو ضال مخذول لا يقبل منه إلا الرجوع مما خرج منه.

٨- إعلام المرتدين أن خليفة المسلمين قد بعث جيشاً من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى كل حي من أحياء العرب

---

(٥١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٥٢) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥١.

المرتدة، وأمرهم ألا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه.

٩- إن خليفة المسلمين أمر قادة جيوشه ألا يقبلوا من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن ظل مرتداً معرضاً عن الحق خارجاً على جماعة المسلمين شاقاً عصا الطاعة فإن خليفة المسلمين أمر جيوشه أن تقاتله، وتسبي نساءه وذريته نكاية به.

١٠- إن خليفة المسلمين أمر رسله الذين بعثهم بالكتب أمام الجنود أن يقرؤوا كتابه في كل مجمع من مجامع المرتدين.

١١- إن خليفة المسلمين جعل الأذان علامة لبقاء القوم على الإسلام(٥٣)، فإذا أذن المسلمون أصحاب الجيش فأذن من اتجه إليهم من الجيش كفّ المسلمون عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم بالقتال، وإن أذنوا سألهم المسلمون عن الزكاة، فإن أقروا بها قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم، وإن أنكروا شرعية الزكاة أو منعوا دفعها لعمال الخليفة قاتلوهم(٥٤).

يعد كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى عموم المرتدين بياناً بحقيقة الإسلام، أنه دين الله للناس جميعاً، وأنه غير مرتبط بشخص مهما بلغت منزلته وارتفعت مكانته، ويعد أيضاً دعوة سلمية للمرتدين بالعودة إلى الإسلام، والدخول فيما خرجوا منه، والإقلاع عما ترددوا فيه من ردة عن الإسلام، وانتقاض عليه، وبذلك بلغتهم الدعوة، وقامت عليهم الحجة.

---

(٥٣) يروى عن الزهري قوله: لما بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيوشه لقتال أهل الردة قال لقادة الألوية: "بيّتوا فأينما سمعتم فيها الأذان فكفوا عنها، فإن الأذان شعار الإيمان".

(٥٤) للوقوف على كتاب أبي بكر للمرتدين انظر الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٠ - ٢٥١، وانظر ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٤٧ - ٤٤٩، والواقدي، مصدر سابق، ص ٧١ - ٧٢، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٢٧ - ٢٩، وانظر نص الكتاب في الملحق رقم (١).

وبهذا الكتاب منح أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المرتدين فرصة للعودة إلى الإسلام، والدخول في الجماعة، وأنذرهم بأن جيوش دولة الخلافة الراشدة سوف تطأ أرض كل من يصرّ على ردته، ويخرج على جماعة المسلمين، تقتل المقاتلة، وتسبي الذرية والنساء.

المحور الرابع: إعلان الحرب على من أصر على ردته ولم يرجع إلى الإسلام

لم يحدث كتاب أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى المرتدين تغييراً في موقفهم بصورة عامة، بل ظل معظمهم على ردته، وتبسطوا بأنواع الإيذاء على مسلمي قومهم، مما دفع بأبي بكر لأن يجدَّ به الجدُّ في قتال المرتدين، وقد أراه الله رشده فيهم، فأمر الناس بالجهاد وحثهم عليه، ورغبهم فيه، وذلك بعدما استراح جند أسامة بن زيد، ورجع من حول المدينة من العرب إلى الإسلام، وجاءت صدقات طيء وبني تميم، فعزم على الخروج بنفسه إليهم، فخرج في مئة من المهاجرين والأنصار، فنزل على ذي القصة ينتظر خروج الناس، وقد وكل بالناس في المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري يرغبهم، ويحثهم على الخروج إلى ذي القصة.

أقام أبو بكر ببقعاء(٥٥) أياماً ينتظر خروج الناس، وبعث إلى من ثبت على إسلامه من العشائر العربية القريبة من المدينة كأسلم وغفار وأشجع وجهينة وكعب يأمرهم بجهاد أهل الردة، فتجمع الناس إلى أبي بكر من كل وجه للحرب، فلما تهيأ الناس لجهاد المرتدين عقد أبو بكر الألوية في ذي القصة، فعقد أحد عشر لواءً لقتال المرتدين، وأمّر عليها الأمراء، وأمر أمير كل جند باستنفار من مرَّ به من المسلمين من أهل القوة(٥٦)، وقد شملت خطة أبي بكر قتال المرتدين في جميع مواقع الردة في جزيرة العرب.

---

(٥٥) يقول ياقوت: بقعاء موضع خرج إليه أبو بكر لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، وهو تلقاء نجد على ٢٤ ميلا من المدينة، قال الواقدي: وبقعاء هو ذو القصة. ياقوت، مصدر سابق، ج١، ص ٤٧١.

(٥٦) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٨-٢٤٩، والكلاعي، مصدر سابق، ص ١٨-٢٠.

كانت الألوية تتفاوت في قوتها، وعدد جندها، ومهارة قادتها، فكان لواء خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أقوى الألوية، وأميره من أمهر الأمراء وأشجعهم، وقد عهد أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هذا اللواء مهمة القضاء على حركات الردة في البزاخة، والبطاح، واليمامة، وتعد ردة بني حنيفة باليمامة من أخطر حركات الردة في جزيرة العرب، وأشدها ضراوة وقوة.

القضاء على التجمع القبلي في البزاخة والبطاح:

كان طليحة بن خويلد الأسدي قد تنبأ في قومه بني أسد قبيل وفاة الرسول ﷺ، وقد سجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة، فوجه إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور الأسدي عاملاً على بني أسد، وأمره بقتال طليحة، فضعف أمر طليحة حتى كاد ضرار أن يقبض عليه، فلما مات رسول الله ﷺ قويت شوكة طليحة وكثر جمعه، وتبعه كثير من العرب عصبية، وكان أكثر أتباعه من قومه ومن غطفان وبعض بطون طيء، فقد كان بين تلك العشائر وبني أسد حلف في الجاهلية، فيروى أن عيينة بن حصن الفزازي قام في غطفان بعد وفاة الرسول ﷺ، فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ أن انقطع ما بيننا وبين بني أسد، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة(٥٧).

اتخذ طليحة سميراء(٥٨) مركزاً لتجمع قومه ومن انضم إليه من العشائر العربية المرتدة، ثم رحل عنها إلى البزاخة(٥٩)، فأقام عليها، واتخذها مركزاً لحركته.

---

(٥٧) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٧.

(٥٨) سميراء: بفتح أوله وكسر ثانيه، بالمد منزل بطريق مكة بعد تُوز، ياقوت، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٥.

(٥٩) البزاخة: ماء لبني أسد.

وقد انضمت إليه في البزاخة العشائر العربية المرتدة بعد هزيمتها في الأبرق من الربذة(٦٠).

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جعل مهمة القضاء على التجمع القبلي في البزاخة إلى لواء خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأوصى الخليفة خالداً أن يرفق بجنده ويحسن صحبتهم، وأمره أن يشاور أصحاب رسول الله ﷺ، وألا يخالفهم، وأمره أن يقدم أمامه الطلائع لتكشف المسالك، وترتاد المنازل، وأن يكون في تعبئة جيدة في كل وقت(٦١).

قام خالد بمناورة عسكرية لمباغتة القوم في البزاخة، وإنزال الرعب في قلوب طيء؛ لئلا تنضم إلى طليحة، فقد أظهر أنه خارج إلى خيبر، ثم منصب على طيء، فلما سمعت طيء بذلك عقَّدها وبطَّاها عن مساندة طليحة(٦٢).

كان أبو بكر قد أرسل عدي بن حاتم الطائي إلى قومه لإعادتهم إلى رشدهم، واستخراج من تعجّل منهم إلى البزاخة، فقدم عدي على قومه، ونجح في مهمته، فقد فاءت طيء جميعها إلى الإسلام دون قتال(٦٣). فكان عدي بن حاتم - بفعله ذلك - خير مولود في طيء، وأعظم بركة عليهم، إذ أخذ بحجزهم من النار. وهكذا تحولت سيوف طيء ضد طليحة حليف الأمس، فانضموا إلى خالد.

كان في جيش خالد جماعة من مؤمني بني أسد الذين ثبتوا على إسلامهم، فكتبوا إلى قومهم يحذرونهم عاقبة الردة، ولم يبق مع خالد رجل من بني أسد يعرف بالصلاح إلا كتب إلى قومه يحذرهم مقدم خالد بن الوليد عليهم، ويعذلهم في ارتدادهم عن دين الإسلام(٦٤).

---

(٦٠) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٣.

(٦١) الكلاعي، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٦٢) ابن خياط، مصدر سابق، ص ١٠٢، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٦٣) د. محمد أمين صالح، مصدر سابق، ص ١٥٤.

(٦٤) الواقدي، مصدر سابق، ص ٧٢ و ٧٤.

لم تجد نصائح مسلمي بني أسد الذين في جيش خالد أذناً صاغية لدى قومهم، فيفيئوا إلى الإسلام دون قتال كما فعلت طيء. لذا سار خالد بالجيش نحوهم حتى أصبح قريباً من البزاخة، فوجد طليحة قد ضربت له فيها قبة من أدم، وأصحابه حوله معسكرون، فضرب خالد عسكره على ميل أو نحوه من عسكر طليحة، وخرج يسير على فرس ومعه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما أصبح خالد قريباً من معسكر طليحة، قال: ليخرج إليّ طليحة، فخرج طليحة، فوقف، فقال خالد: إن من عهد خليفتنا إلينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن تعود إلى ما خرجت منه، فنقبل منك ونغمد سيوفنا عنك، فقال طليحة: يا خالد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأني مرسل يأتيني ذو النون، كما كان جبريل يأتي محمدًا، فأبى طليحة أن يقر بما دعاه إليه خالد، وانصرف خالد إلى معسكره، فاستعمل تلك الليلة على حرسه مُكنف بن زيد الخيل، وعدي بن حاتم الطائي، فباتا يحرسان الجيش في جماعة من المسلمين.

لم تجد نصائح مسلمي بني أسد الذين في جيش خالد أذناً صاغية لدى قومهم

بعث خالد بن الوليد رسلاً إلى طليحة بن خويلد الأسدي تحذره من سفك دماء أصحابه، وتدعوه للرجوع مما خرج منه، فأبى طليحة، ولجّ في طغيانه، وحينئذ عزم خالد على حرب القوم، وزحف إليهم(٦٥)، واستعد لقتال طليحة، فجهز الجيش، وهيأه للحرب، فلما علم طليحة بذلك عبأ أصحابه، وسوى صفوفه.

بادر المسلمون بالهجوم على عدوهم، فاشتبك الفريقان في معركة قوية ضارية، أظهر فيها المسلمون صدق نية وصبراً وثباتاً وشجاعة، يروى عن ابن عمر أنه قال: يرحم الله خالد بن الوليد؛ فقد كان له

---

(٦٥) الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٨ - ٨٩.

غناءٌ وجرأة، ولقد رأيته يوم طليحة يباشر الحرب بنفسه حتى ليم في ذلك(٦٦).

قاتل عيينة بن حصن الفزازي وقومه مع طليحة قتالاً شديداً، فلما تبيّن له كذب طليحة وعجزه، ورأى كثرة القتل في قومه انسحب مع قومه من أرض المعركة، إلا أنه وقع في الأسر، وأرسل إلى أبي بكر في المدينة، فتجاوز عنه، وحقن دمه(٦٧)، أما طليحة فإنه لما رأى الناس يقتلون ويؤسرون فرَّ هارباً مع زوجه إلى أرض الشام(٦٨)، أما بنو أسد فإنهم لما علموا بفرار عيينة وطليحة من أرض المعركة، ورأوا الهزيمة حلت بهم أعطوا خالداً البيعة مقرين بالإسلام، مؤمنين بالله ورسوله، مسلّمين لحكم الله في أموالهم وأنفسهم، وكان نص البيعة: عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله، ولتقيمن الصلاة، ولتؤتن الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم، فيقولون: نعم(٦٩).

كان من نتيجة هزيمة بني أسد في البزاخة عودة بني عامر إلى الإسلام، فقد أتوا خالداً، فأعلنوا إسلامهم، وقالوا: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، فبايعهم خالد على ما بايع عليه أهل البزاخة(٧٠).

ظل خالد مقيماً في البزاخة شهراً، يدعو الناس إلى الإسلام، ويفقههم في الدين، ويعلمهم شعائر الإسلام، ويأخذ الصدقات، ويتتبع الذين عاثوا في الأرض فساداً بقتلهم المسلمين، فيعاقبهم بما يستحقون، متبعاً في ذلك تعليمات أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٧١).

---

(٦٦) الكلاعي، مصدر سابق، ص٣٢-٣٥.

(٦٧) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٦٨) الكلاعي، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٦٩) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٦.

(٧٠) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٧١) المصدر السابق.

ولما اطمأن خالد بن الوليد على عودة المنطقة إلى وضعها الطبيعي باستتباب الأمن واستقرار الأوضاع فيها، وبخضوعها لسيادة دولة الخلافة الراشدة غادر المنطقة بجيشه إلى البطاح بعد أن ترك فيها فرقة عسكرية للمحافظة على الأمن وإقرار النظام فيها.

القضاء على مانعي الزكاة في البطاح(٧٢):

كان الرسول ﷺ قد فرّق عماله في بني تميم لجباية الصدقة، فكان مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات قومه، فجمع صدقاتهم، فلما بلغته وفاة الرسول ﷺ جمع قومه، فقال: إن هذا الرجل قد هلك فشأنكم بأموالكم ... فأنتم أولى بها وأحق، فتسارع إليه جمهور قومه، وفرحوا بذلك(٧٣).

ولما قدمت سجاح بنت الحارث التميمية من العراق إلى ديار بني تميم استقبلها مالك، واحتفى بها، وطلب منها مؤازرته على مسلمي قومه، فلما رأت انقسام بني تميم واختلافهم غادرت المنطقة إلى اليمامة، فضعف أمر مالك، وندم على فعله، إلا أنه ظل حائرًا في أمره، ولما علم مالك بن نويرة بانتصار خالد في البزاخة حذّر قومه من الاجتماع، وأمرهم بالتفرق في ديارهم(٧٤).

وصل خالد بجيشه إلى البطاح، فاستقبله عدد من أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا له الزكاة، واعتذروا إليه مما بدر منهم(٧٥).

أما مالك بن نويرة فقد اعتزل الناس، فلم يأت إلى خالد، ويعتذر إليه مما بدر منه، ويُقر بالسمع والطاعة، ويبذل الزكاة، بل ظل مترددًا في أمره.

---

(٧٢) البطاح: بضم أوله، ماء في ديار بني أسد بأرض نجد، ياقوت، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤٥.

(٧٣) ابن حبان البستي: أبو حاتم محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)، السيرة وأخبار الخلفاء، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٤٢٩، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٥١-٥٢.

(٧٤) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٧٥) ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٦٢.

بث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس إلى داعية الإسلام، وأمرهم أن يأتوه بكل من لم يجب داعية الإسلام(٧٦). فجاءت الخيل بمالك بن نويرة ومعه نفر من بني يربوع(٧٧)، واختلفت السرية في أمره فيما يتعلق بالأذان، ولما حضر مالك عند خالد أنّبه خالد على ما صدر منه من متابعة سجاح وعلى منعه الزكاة.

ناظر خالد مالكاً في مسألة الزكاة، ففهم خالد من المناظرة أن مالكاً يجحد شريعة الزكاة، فأمر بقتله فقتل(٧٨)، وفي رواية: أن ابن نويرة قتل خطأ(٧٩).

وقد تزوج خالد أرملة ابن نويرة بعد انقضاء عدتها، ولما حدثت شبهة في قتل مالك وزواج خالد بأرملته استدعاه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة؛ ليقف منه على حقيقة الأمر.

قدم خالد إلى المدينة، وبيّن لأبي بكر وجهة نظره في المسألة، فعذره أبو بكر، وقبل منه، وصدقه، ورضي عنه(٨٠).

القضاء على ردة بني حنيفة ونهاية حركة الردة في جزيرة العرب:

سكن بنو حنيفة اليمامة، وهي بلاد واسعة كثيرة الطعام والسلاح(٨١)، تقع في شرق الجزيرة العربية، كان صاحبها هوذة بن علي الحنفي ذا مكانة لدى العرب، أرسل إليه الرسول ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فأجابه بقوله: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، وفي رواية أخرى: أن هوذة كتب إلى الرسول ﷺ يسأله أن يجعل الأمر له

---

(٧٦) داعية الإسلام هي: الأذان.

(٧٧) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٧٨) ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٦٢.

(٧٩) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٧٨، ٢٨٠.

(٨٠) المصدر السابق.

(٨١) الكلاعي، مصدر سابق، ص ٥٦، والعمري، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

من بعده، على أن يسلم ويسير إليه وينصره، فقال الرسول ﷺ: لا، ولا كرامة، اللهم أكفنيه، فمات بعد فتح مكة(٨٢).

كان مسيلمة بن حبيب الحنفي يحب الشهرة والمجد والسلطان، وكان قبل أن يتنبأ يدور في أسواق العرب يتعلم الحيل حتى أحكم حيل السدنة والحواة وأصحاب الزجر والحظ ومذهب الكاهن العياف والساحر(٨٣).

تفاقم نفوذ مسيلمة في اليمامة بعد وفاة هوذة بن علي الحنفي، فقد تطلع إلى زعامة اليمامة ورئاسة بني حنيفة.

في السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ في المدينة، وكان عدد الوفد كثيراً، منهم مسيلمة بن حبيب، ومجاعة بن مرارة، والرَّجال: نهار بن عنفوة وغيرهم من سادة بني حنيفة(٨٤).

نزل الوفد في دار الوفود(٨٥)، فجعل مسيلمة يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، وفي رواية أنه قال: يا محمد، إن جعلت لي الأمر بعدك آمنت بك وصدقتك، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ليس معه إلا ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وفي يده قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتك، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني

---

(٨٢) ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج٣، ص ٦٩٦.

(٨٣) العمري، مصدر سابق، ص ٣٦٥.

(٨٤) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، ص ١٠٥، كان نهار بن عنفوة بن نهشل يقال له: الرجال.

(٨٥) كانت دار رملة بنت الحارث، وقيل: الحدث من بني النجار الأنصارية داراً للضيافة.

لأراك الذي رأيت فيه ما أريت، وهذا ثابت يجيبك عني(٨٦)، يروى عن رافع بن خديج قوله: قدمت على النبي ﷺ وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوباً ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر في قلوبهم من بني حنيفة(٨٧).

عاد مسيلمة إلى اليمامة، فارتد عن الإسلام، وادّعى الشركة في النبوة، واتخذ له محراباً ومؤذناً، وجعل الصلاة ثلاثة أوقات في اليوم، وكان يصانع الناس ويتألفهم(٨٨).

عظمت فتنة مسيلمة واشتد خطره وعلا أمره باليمامة بعد قدوم نهار بن عنفوة بن نهشل الحنفي إليه من المدينة المنورة، إذ شهد له أنه سمع محمد بن عبدالله ﷺ يقول: "إنه أشرك معه في النبوة قبل وفاته(٨٩)، فلما سمع مسيلمة بذلك قال لقومه: إن الرَّجال بن عنفوة ومحكم بن الطفيل يشهدان لي أن محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - قد أشركني في نبوته من قبل وفاته"(٩٠).

---

(٨٦) ابن حجر، مصدر سابق، ج٧، ص ٦٩٠، يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سأل أبا هريرة رضي الله عنه عن رؤيا رسول الله ﷺ، فقال أبو هريرة: "إن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم أريت كأن في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إليّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي: العنسي صاحب صنعاء، ومسيلمة صاحب اليمامة".

(٨٧) الكلاعي، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٨٨) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٢، والعمري، مصدر سابق، ص ٣٥٦.

(٨٩) كان نهار بن عنفوة يقال له: الرجال بن عنفوة، وكان ممن وفد على الرسول ﷺ مع بني حنيفة، فأسلم، وبقي في المدينة يقرأ القرآن، ويتفقه في الدين، ويتعلم السنن، ويروى عن ابن عمر قوله: كان من أفضل الوفد عندنا قرأ البقرة وآل عمران، فلما ادّعى مسيلمة الشركة في النبوة بعثه الرسول ﷺ معلماً لأهل اليمامة، ومحذراً لهم من مسيلمة، وليشد من أزر المسلمين في اليمامة ضد مسيلمة، وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي بعثه إلى اليمامة. يراجع الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٢ - ٢٨٣، ٢٨٧.

(٩٠) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٠٩.

ولما علم أشراف بني حنيفة بأن الرَّجال بن عنفوة ومحكم بن الطفيل يشهدان بصدق نبوة مسيلمة أقبلوا إليهما، فقالوا لهما: "إن مسيلمة بن حبيب قد ادعى النبوة بين أظهرنا، ويزعم لنا أن محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - قد أشركه في النبوة قبل وفاته، وأنتما شاهدان، فما الذي عندكما؟"، فقال نهار بن عنفوة: "لقد صدق مسيلمة في قوله، أنا أشهد أن محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - قد أشركه في النبوة قبل وفاته"، وقال محكم بن الطفيل: "وأنا أشهد بذلك"(٩١).

ولما كان ابن الطفيل وابن عنفوان من سادات أهل اليمامة، وكان أشراف بني حنيفة ينعتونهما: بأنهما شيخان صادقان(٩٢)، كانت شهادتهما بصدق نبوة مسيلمة أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة(٩٣)، فقد صدقه بنو حنيفة، واستجابوا له، وآمنوا بنبوته، إلا أفراداً من ذوي عقولهم أراد الله بهم الخير، اجتمعوا إلى رجل من أكابرهم يقال له: ثمامة بن أثال الحنفي، وكان ذا عقل وفهم ورأي، وكان مخالفاً لمسيلمة، فقال لهم: اسمعوا قولي تهتدوا، وأطيعوا أمري ترشدوا، واعلموا أن محمد بن عبدالله نبي مرسل لا شك في نبوته، وهذا مسيلمة رجل كذاب، فلا تغتروا به ولا بقوله وكذبه(٩٤).

كان ابن الطفيل ينعت بمحكم اليمامة، فصار بعد تصديقه لمسيلمة ومتابعته له وزيراً له(٩٥)، وصار ابن عنفوان المستشار الأول لمسيلمة، فكان مسيلمة يتابعه في كل أمر ولا يعصيه(٩٦).

---

(٩١) الواقدي، مصدر سابق.

(٩٢) نفسه.

(٩٣) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٢، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٩٤) الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٧.

(٩٥) المصدر السابق، ص ١١٣ و ١٢٦.

(٩٦) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٣، ود. محمد أمين صالح، مصدر سابق، ص ١٦٠.

هذا وقد التف أكثر بني حنيفة حول مسيلمة، فمنهم من تبعه جهلاً وتصديقاً، وهم العوام الذين صدقوه واستجابوا له، وآمنوا بنبوته، ومنهم من تبعه عصبية وهم الخاصة الذين خاطبهم مسيلمة بقوله: "يا بني حنيفة، أريد أن تخبروني بماذا صارت قريشاً أحق بالنبوة والإمامة منكم؟ والله ما هم بأكثر منكم وأنجد(٩٧)، وإن بلادكم لأوسع من بلادهم، وأموالكم أكثر من أموالهم..."(٩٨)، فأخذت بعضهم العزة بالإثم، فقال طلحة النمري لمسيلمة بن حبيب: "أشهد أنك كاذب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"(٩٩). وقد افتتن بنو حنيفة بمسيلمة حتى صار يدعو لمريضهم، ويبرك على مولودهم(١٠٠).

كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقدر قوة بني حنيفة وخطورتها لاجتماعهم على مسيلمة ولكثرتهم، فقد كانت عدتهم يومئذ أربعين ألف مقاتل، وكانوا أشد العرب شوكة وبأساً، وأكثرهم عدداً، وكانوا في بلاد واسعة كثيرة الطعام والسلاح(١٠١)، فكانت ردتهم من أخطر حركات الردة في جزيرة العرب وأشدها ضراوة وقوة، لذلك وجه إليهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لواءين: الأول بقيادة عكرمة بن أبي جهل، والثاني بقيادة شرحبيل بن حسنة(١٠٢)، فلم يتمكنا من القضاء على مسيلمة وقومه، فأمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عكرمة بالتوجه إلى عمان، وأمر شرحبيل أن يقيم مكانه إلى أن يأتي خالد بن الوليد، فينضم إليه.

---

(٩٧) أنجد: أكثر نجدة وشجاعة.

(٩٨) الواقدي، مصدر سابق.

(٩٩) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٦.

(١٠٠) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٥، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٦٣.

(١٠١) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨١، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٦٥، والذهبي، مصدر سابق، ص ٣٩.

(١٠٢) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣١٤-٣١٥، وانظر د. محمد أمين صالح، مصدر سابق، ص ١٦٢، والعمري، مصدر سابق، ص ٣٦٦.

كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد، وهو مقيم في البطاح ينتظر وصول المدد إليه من المدينة كتاباً يأمره فيه بالجد في أمر الله ومجاهدة من رجع عن دين الإسلام، وأمره بالتوجه إلى بني حنيفة في اليمامة حيث مسيلمة الكذاب، وأخبره بأن بني حنيفة ذوو قوة وبأس، فقال له: "فانظر بني حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله، فإنك لم تلق قوماً قط يشبهون بني حنيفة في البأس والشدة، كلهم عليك، ولهم بلاد واسعة، فإذا قدمت عليهم فلا تبدأهم بقتال حتى تدعوهم إلى داعية الإسلام، واحرص على صلاحهم، فمن أجابك منهم فاقبل ذلك منهم"(١٠٣).

إنك لم تلق قوماً قط يشبهون بني حنيفة في البأس والشدة

وقد أمره أن يستشير من معه من أكابر أصحاب الرسول ﷺ، وأن يعرف للمهاجرين والأنصار حقهم وفضلهم، وأن يستوصي بجنده خيراً فيرفق بهم، ويحسن صحبتهم.

هذا وقد زود أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد بتعليمات في إدارة الحرب ومباشرتها، فلما وصل المدد إلى خالد بن الوليد نهض بالجيش إلى اليمامة، فسار حتى نزل العرض حيث قدَّم أمامه مئتي فارس طليعة، وقال لهم: إن أصبتم أحداً من الناس فخذوه.

سارت الطليعة فوجدت في طريقها مجاعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين من قومه، كانوا قد خرجوا من اليمامة في طلب ثأر لهم، فأوثقوهم، وأتوا بهم إلى خالد، فسألهم خالد عن مسيلمة، فأقروا بنبوته ما خلا مجاعة بن مرارة وسارية بن عامر، فقال مجاعة بن مرارة لخالد: قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فآمنت به وصدقته أنا وصاحبي هذا سارية بن عامر، ولا والله لا غيّرنا ولا بدّلنا، فعفا عنهما خالد، وأمرهما أن يقيما في عسكره حتى تنتهي

---

(١٠٣) الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٣، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٦٥.

المعركة، أما بقية القوم فقد قتلهم لردتهم وإقرارهم بنبوة مسيلمة(١٠٤).

سار خالد بن الوليد بالجيش من العرض حتى نزل بموضع يقال له: "عقرباء" من أرض اليمامة، فضرب عسكره على كثيب مشرف على اليمامة، ولما سمع بنو حنيفة بقدوم خالد إليهم خرجوا ونزلوا بعقرباء(١٠٥)، وضربوا بها عسكرهم، وجعلوا الأموال وريف اليمامة وراء ظهورهم.

نظم خالد جيشه فعبأ أصحابه وسوّى صفوفه، فكان على ميمنته زيد بن الخطاب، وعلى ميسرته أسامة بن زيد، وعلى الخيل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وأعطى راية المهاجرين سالماً مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار ثابت بن قيس بن الشماس، وكانت العرب على راياتها(١٠٦).

بدأت المعركة بشدة وضراوة، فلم يلق المسلمون عدواً أشد نكاية وصبراً من بني حنيفة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان صبراً طويلاً حتى كثر القتل والجراح فيهما، وكانت شهب النار تخرج من خلال السيوف، وكانت لها أصوات كالأجراس(١٠٧)، ونجح المسلمون في تسديد ضربات قوية إلى بني حنيفة في أرض المعركة مما اضطرهم إلى الهرب إلى الحديقة(١٠٨)، وكانت قلعة حصينة، فاقتحم المسلمون عليهم الحديقة، فجرى فيها قتالٌ شديدٌ، قتل فيه مسيلمة الكذاب، ومحكم اليمامة، ونهار بن عنفوة، وأضرابهم من سادة بني حنيفة،

---

(١٠٤) الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٩، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٧٢.

(١٠٥) عقرباء: منزل من أرض اليمامة على طرفها، وهو من أعمال العارض، ياقوت، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣٥.

(١٠٦) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٢٢، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٧٦.

(١٠٧) الكلاعي، مصدر سابق، ص ٨٠ - ٨١، ٨٣.

(١٠٨) الحديقة: بستان لمسيلمة الكذاب، كان بِقِنَا حِجْر من أرض اليمامة.

وقتل من بني حنيفة في ميدان المعركة والحديقة عدد كثير، واستشهد من المسلمين في عقرباء جمع كثير منهم عدد من حفظة القرآن، فقد كان شعارهم في أرض المعركة: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال(١٠٩)، كان لخالد بن الوليد وزيد بن الخطاب وسالم مولى أبي حذيفة وأبي حذيفة وأبي دجانة وثابت بن قيس والبراء بن مالك وأضرابهم من أهل السوابق والبصائر والنيات الصالحة من المسلمين مواقف بطولية نادرة في عقرباء كان لها بعد الله الأثر الرئيس في انتصار المسلمين وهزيمة بني حنيفة في المعركة.

ولما هزمت بنو حنيفة في أرض المعركة ثم في الحديقة، وقتل مسيلمة وأضرابه من سادة بني حنيفة، عَمدَت بنو حنيفة إلى الحصون فدخلوها، فأراد خالد أن يُنهِد إليهم الكتائب، فلم يزل به مجاعة بن مرارة الحنفي حتى صالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع، وعلى نصف السبي أو ربعه، وعلى حائط من كل قرية، فتقاضوا على ذلك. وبعد أن عقد خالد الصلح مع بني حنيفة دعاهم إلى الإسلام والبراءة مما كانوا فيه، فأسلموا عن آخرهم، ورجعوا إلى الحق(١١٠).

يعد انتصار المسلمين على بني حنيفة في عقرباء باليمامة انتصاراً حاسماً على حركة الردة في جزيرة العرب، فقد كان لهزيمة بني حنيفة في عقرباء وقع شديد على المرتدين في أنحاء جزيرة العرب، فقد كان كثير من المرتدين يراهن على انتصار بني حنيفة، فكانوا ينتظرون بردتهم ما يفعل بنو حنيفة، فلما هزمت بنو حنيفة في عقرباء علم القوم ألا قبل لهم بدولة الخلافة الراشدة، فعادوا إلى الإسلام، ودخلوا في الجماعة، وأقروا بالسمع والطاعة لأبي بكر، واعترفوا بخلافته.

---

(١٠٩) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ٢٩٧-٢٩٨.

(١١٠) المصدر السابق، والذهبي، مصدر سابق، ص ٣٩-٤٠، وابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ٤٧١.

وهكذا نجح خالد بن الوليد في القضاء على المتنبئين في المنطقة، وتقليم أظفار أتباعهم، وفي الوقت الذي كان لواء خالد بن الوليد يخوض معارك ضارية في البزاخة واليمامة كان عدد من الألوية الأخرى تخوض معارك ضارية في اليمن وعُمان والبحرين، وقد تمكنت الألوية جميعها من القضاء على حركة الردة قضاءً مبرماً، فعاد العرب إلى دين الله أفواجاً، فأصبحت جزيرة العرب دار إسلام وأمن وسلام، وصار لدولة الخلافة الراشدة السيادة المطلقة في شبه جزيرة العرب، وقد استغرق القضاء على حركة الردة في أنحاء جزيرة العرب تسعة أشهر من خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١١١)، فلم يحل الحول على الردة إلا وجميع من ارتد من عرب الجزيرة قد رجع إلى دين الإسلام(١١٢).

أهم نتائج القضاء على حركة الردة:

نجحت خطط أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العسكرية في عدم تجمع حركات الردة في جزيرة العرب تحت قيادة واحدة، وفي عدم استفادة بعضها من بعض، وتعاون بعضها مع بعض، فقد أشغل كلاًّ في موقعه، فأصبح كلٌّ معنياً بنفسه، فقد انطلق من ذي القصة أحد عشر لواءً اتجهت إلى أهم مواقع الردة وأخطرها في جزيرة العرب، وكان لسياسة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرشيدة، وخططه العسكرية، ومهارة قادة الألوية وإخلاص جند المسلمين أثر بارز في سرعة القضاء على حركة الردة في جزيرة العرب في وقت قياسي لم يتجاوز تسعة أشهر من خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رغم ضراوة حركة الردة وشدتها واتساع نطاقها، ولم يكن القضاء على حركة الردة متوقفاً على سحقها في ميادينها

---

(١١١) روى الطبري عن عمر بن شبة: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجّه خالد بن الوليد إلى العراق، فسار إليه في المحرم سنة اثنتي عشرة. الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٤٣. مما يؤكد القضاء على حركة الردة، واستقرار الأوضاع العامة في جزيرة العرب قبل مسير خالد بن الوليد إلى العراق.

(١١٢) ابن حجر، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٨٩.

العسكرية وقياداتها السياسية ورموزها الدينية والاجتماعية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أهم من الانتصارات العسكرية في ميادين القتال، تمثل ذلك في نجاح دولة الخلافة الراشدة في جعل المرتدين يشعرون بالإثم الذي ارتكبوه، ويندمون على تسرعهم إلى الردة، فتخلوا عنها، وعادوا إلى الإسلام.

يروى أن طليحة بن خويلد الأسدي ندم على تسرعه إلى الردة أشد الندم، فلما سمع بأن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد عفا عن عيينة بن حصن الفزاري وقرة بن جبيرة، أرسل إليه قصيدة يعتذر فيها عن تسرعه إلى الردة وندمه على ذلك، وعن قتل ثابت وعكاشة، ويخبره برجوعه إلى الإسلام، فقال فيها:

ندمت على ما كان من قتل ثابت   وعكاشة الغنميّ والمرء مَعبد(١١٣)
وأعظم من هاتين عندي مصيبة   رجوعي عن الإسلام رأي التعمد
فهل يقبل الصديق أني مراجع   ومعط لما أحدثت من حدث يدي
وإني من بعد الضلالة شاهد   شهادة حق لست فيها بملحد
بأن إله الناس ربي وأنني   ذليل وأن الدين دين محمد(١١٤)

هذا وقد أبانت دولة الخلافة الراشدة شعائر الإسلام وأحكامه للمرتدين، فأقبلوا على الإسلام برغبة شديدة، وحرصوا على تعلم الإسلام والتفقه في الدين، والدخول في الجماعة، والمشاركة في الفتوحات الإسلامية، فكانوا من أرغب الناس وأنشطهم في قتال الكفر وأهله(١١٥).

---

(١١٣) معبد هو: معبد بن عمرو المخزومي الذي قتله جيش طليحة مع ثابت وعكاشة.

(١١٤) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٠٠.

(١١٥) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٤١٤.

وقد نتج عن القضاء على حركة الردة في جزيرة العرب نتائج عدة أهمها:

١- تحقق الوحدة الدينية والسياسية لجزيرة العرب:

نتج عن القضاء على حركة الردة في جزيرة العرب أن تحقق لها الوحدة السياسية للمرة الثانية في تاريخها(١١٦)، وأصبحت تخضع لسلطة مركزية في المدينة(١١٧). وتحققت أيضاً لجزيرة العرب الوحدة الدينية بين عربها على أساس من العقيدة والأخوة في الدين، وصارت جزيرة العرب دار إسلام وأمن وسلام(١١٨)، وغدت المدينة المنورة مركز الثقل السياسي والديني والعلمي والإستراتيجي في جزيرة العرب، بل في دولة الخلافة الراشدة حتى مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث فقدت مركزها السياسي والإستراتيجي، واحتفظت بمركزها الديني والعلمي.

٢- كفاءة أبي بكر وعلو منزلته:

برهنت أحداث الردة وسرعة القضاء عليها على كفاءة أبي بكر وحزمه ومقدرته على قيادة الأمة، ونجاحه في التصدي للأخطار التي أحدقت بالأمة عقب وفاة الرسول ﷺ، فحمد الصحابة فعل أبي بكر وحزمه في قتال المرتدين عموماً ومانعي الزكاة على وجه

---

(١١٦) تحققت الوحدة السياسية لأول مرة في تاريخ جزيرة العرب بعد فتح مكة وإسلام قريش وثقيف، ثم قدوم وفود العرب على الرسول ﷺ في المدينة، ودخولهم في دين الله أفواجاً في السنتين التاسعة والعاشرة بعد الهجرة، مما جعل الرسول ﷺ يبعث في السنة العاشرة من الهجرة أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من بلدان جزيرة العرب. ابن هشام، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٧١، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩٣-٢٠٢.

(١١٧) رجب: د. رجب محمد عبدالحليم، تاريخ النبوة والخلافة الراشدة، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٢٠٣.

(١١٨) دار الإسلام هي: الأرض التي تخضع خضوعاً مباشراً لسيادة الدولة الإسلامية، ويكون للمسلمين فيها الأمان مطلقاً، وتطبق فيها شريعة الإسلام، وتقام حدوده.

الخصوص، فالتفوا حوله؛ إذ أصبح الرجل الأول في الجماعة الإسلامية، وأقر عرب الجزيرة بجدارته وبطولته وحسن بلائه، فدخلوا في طاعته، واعترفوا بخلافته، فتوطدت بذلك خلافته، وقويت شوكة الدولة الإسلامية.

٣- رسوخ قواعد الإسلام في جزيرة العرب:

أخذ المرتدون بعد عودتهم إلى الإسلام يتفقهون في الدين، ويتعلمون شعائر الإسلام، ويقرؤون القرآن، فرسخت أركان الإسلام وشعائره في نفوسهم، وتأصلت قيمه ومفاهيمه وتصوراته وأخلاقه في جوانب حياتهم، وبذلك تمهدت قواعد الإسلام في جزيرة العرب.

وهكذا سُدَّ الطريق في وجه كل كذاب يدعي النبوة أو يرتد عن الإسلام، ويخرج على الجماعة الإسلامية فيما بعد، فأصبحت جزيرة العرب قاعدة الإسلام الحصينة، منها ينطلق، وبها يحتمي، وإليها يأرز.

> **هكذا سُدَّ الطريق في وجه كل كذاب يدعي النبوة أو يرتد عن الإسلام**

٤- استتباب الأمن وإقرار النظام في جزيرة العرب:

بالقضاء على حركة الردة في جزيرة العرب صار البعيد الأقصى فيها عن المدينة كالقريب الأدنى منها من حيث الأمن والاستقرار، فقد استتب الأمن واستقرت الأوضاع، وأقر النظام في حضرها ووبرها، وأصبحت لدولة الخلافة الراشدة رقابتها على الأوضاع العامة ومجريات الأحداث في جزيرة العرب، فلم يبق فيها إلا أهل طاعة لله ولرسوله، أو أهل ذمة كأهل خيبر ونجران وما جرى مجراهما(١١٩).

٥- تهيئة عرب الجزيرة للقيام بنشر الإسلام وتبليغه:

اكتسب المسلمون خلال القضاء على حركة الردة مهارات قتالية وخبرة عسكرية، فأتقنوا فنون القتال، وعلموا كثيراً من الخطط

---

(١١٩) ابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٨٥ و ٥١٠.

العسكرية، وبرز خلال القضاء على حركة الردة عدد من القادة العسكريين، وبذلك تهيأ عرب الجزيرة للقيام بنشر الإسلام وتبليغ دعوته إلى الأمم المجاورة لجزيرة العرب، فكانت حركة الفتح الإسلامي أول عمل قامت به دولة الخلافة الراشدة بعد القضاء على حركة الردة في جزيرة العرب.

٦- جمع القرآن وتدوينه في صحف:

استشهد في حروب الردة عدد من حفظة القرآن الكريم خصوصاً في معركة عقرباء باليمامة، فقد استشهد فيها سالم مولى أبي حذيفة، وزيد بن الخطاب، وثلاثون أو خمسون من حفظة القرآن(١٢٠)، مما دعا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يشير على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجمع القرآن وتدوينه في صحف، فجمع ودوّن في صحف ظلت عند أبي بكر حتى وفاته، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - حتى طلبها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فنسخ منها المصاحف، ثم أرجعها إلى أم المؤمنين حفصة(١٢١).

٧- وقوع سبي من العرب المرتدة في أيدي المسلمين:

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حذر المرتدين أن من بقي على ردته ولم يتب ويرجع إلى الإسلام سوف يقاتل وتسبى نساؤه وذريته نكاية به، ونتيجة لذلك وقع سبي من العرب المرتدة في اليمامة، وفي حصن النجير باليمن، وفي دبا وغيرها(١٢٢)، وقد عولجت تلك المسألة في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١٢٠) ابن خياط، مصدر سابق، ص ١١١.

(١٢١) ابن حجر، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٢٧، ٦٣٢.

(١٢٢) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ٢٠٠، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣١٦، ٣٣٨.

القسم الثاني: منهج عمر بن الخطاب في تسوية مشاكل الردة

المبحث الأول: أهم المشاكل الاجتماعية لحركة الردة

كان من نتائج القضاء على حركة الردة في جزيرة العرب أن وقع سبي من عرب الجزيرة ممن ارتد عن الإسلام في أيدي من استقام على دينه من العرب الذين عهد إليهم أبو بكر الصديق ﵁ مهمة القضاء على الردة، وكان من نتائجها أيضاً صدور أمر أبي بكر الصديق ﵁ بمنع من ارتد من عرب الجزيرة عن الإسلام وإن عاد إليه من شغل وظائف دولة الخلافة الراشدة المدنية والعسكرية، وكان لهذه وتلك أثرها النفسي والاجتماعي على المعنيين بالمسألة، فقد شعر من ارتد عن الإسلام رغم عودته إليه بوجود فوارق دينية واجتماعية وأدبية بينهم وبين من شرف بصحبة الرسول ﷺ من عرب الجزيرة وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً واستقام على دينه، فقد نال هؤلاء ثقة الخليفة، وشغلوا وظائف الدولة المدنية والعسكرية، وصارت لهم مكانة دينية وأدبية واجتماعية لدى الأمة.

أرسل أبو بكر كتاباً عاماً إلى المرتدين في جزيرة العرب يخبرهم بأن من ظل منهم معرضاً عن الحق خارجاً على جماعة المسلمين شاقاً عصا الطاعة سوف يقاتل، وتسبى نساؤه وذريته نكاية به(١٢٣)، فقد كتب أبو بكر الصديق ﵁ إلى المهاجر بن أبي أمية الذي عهد إليه قتال مرتدي كندة باليمن: إن ظفرتم بالقوم وأخذتموهم عنوة فاقتلوا المقاتلة، واسبوا الذرية، فحاصرهم المهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل في حصن النُّجير باليمن حتى جهدهم الحصار وأضرَّ بهم(١٢٤)،

---

(١٢٣) الطبري، مصدر سابق، ج٥، ص ٢٥١، والسبي كل من وقع في الأسر من النساء والأطفال دون الحلم، وهؤلاء لهم أحكام خاصة، فلا يقتلون ولا يفرق بين المرأة وولدها.

(١٢٤) البلاذري، مصدر سابق، ص١٢٣، والنجير: حصن منيع باليمن لكندة قرب حضرموت لجأ إليه الأشعث بن قيس الكندي. وإليه ينسب يوم النجير في أيام الردة، الهمذاني: الحسن بن أحمد (ت في القرن الرابع الهجري)، صفة جزيرة العرب، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٦٩.

فخرج الأشعث بن قيس الكندي إلى عكرمة بأمان، فأبلغه عكرمة إلى المهاجر، فاستأمن من المهاجر على نفسه وتسعة من قومه على أن يؤمنهم وأهليهم، وأن يفتحوا له باب الحصن، فأجابه المهاجر بن أبي أمية إلى ذلك، فلما فتحوا النُّجير وجدوا فيه وفي الخندق ألف امرأة، فأخذن سبايا(١٢٥).

وأيضاً فإن عكرمة بن أبي جهل حاصر أزد دبا(١٢٦) بعُمان، فلما ضيق عليهم وأجهدهم الحصار نزلوا على حكمه، فخرجوا من مدينتهم بلا سلاح، ودخل المسلمون إلى حصنهم، وسبوا نساءهم وأولادهم، وأسروا ثلاثمئة من رجالهم، وكانت عدة السبي أربعمئة من النساء والذراري، فأرسلهم عكرمة إلى أبي بكر رضي الله عنه بالمدينة المنورة، فأمر أبو بكر رضي الله عنه بحبسهم في دار رملة بنت الحارث(١٢٧)، ومن جهة أخرى فإن خالد بن الوليد صالح مجاعة بن مرارة الحنفي باليمامة على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعلى نصف السبي أو ربعه(١٢٨)، وفي رواية للواقدي: أن خالد بن الوليد صالح القوم على ما وجد من الصفراء والبيضاء وعلى ثلث الكراع وربع السبي، ومما يرجح هذه الرواية قول عمرو بن سمرة الحنفي في قصيدته التي ألقاها بين يدي الصديق، وفيها:

خرجنا إليه بأموالنا   وربع السبي وثلث النّقد(١٢٩)

---

(١٢٥) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٣٨.

(١٢٦) دبا: بفتح أوله مع القصر، سوق من أسواق العرب بعُمان، ياقوت، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٥.

(١٢٧) الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٠٠، كان أهل دبا قد غضبوا على عكرمة بن أبي جهل لمسيره لحرب كندة وغيرها من قبائل اليمن المرتدة، فجعل بعضهم يقول لبعض: تعالوا حتى نشغل عكرمة عن بني عمنا، فعزموا على ذلك، ووثبوا على عاملهم من قبل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حذيفة بن عمرو، فطردوه، فلما علم أبو بكر بذلك أمر عكرمة أن يسير إلى أهل دبا، وأن ينزل بهم ما هم أهل له، الواقدي، مصدر سابق، ص ١٩٩.

(١٢٨) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٨، والصفراء: الذهب، والبيضاء: الفضة، والحلقة: الدروع، والكراع: اسم لجميع الخيل.

(١٢٩) النقد: جنس من الغنم قصيرة الأرجل قبيحة الشكل.

وأيضاً كتاب خالد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعلمه بصلحه مع أهل اليمامة، فقد قال فيه خالد: "وقد صالحت القوم على ما وجد من الصفراء والبيضاء، وعلى ثلث الكراع وربع السبي..."(١٣٠). ولولا مكيدة مجاعة وصلحه مع خالد لوقع جميع من في حصون بني حنيفة باليمامة من النساء والذرية في السبي.

لما قضي على حركة الردة فاء المرتدون إلى رشدهم، فعادوا إلى الإسلام، لكن من وقعت نساؤه وذريته في السبي شعر بالمذلة والمهانة، وأدرك عاقبة الردة، إذ قادته إلى تلك الحال، لكنه لا يستطيع أن يغير من الأمر شيئاً، فدولة الخلافة الراشدة بقضائها على حركة الردة صار لها في جزيرة العرب شوكة وسيادة مطلقة، وأصبح الخليفة هو صاحب الكلمة المسموعة والرأي المطاع، ونظراً لقرب عهد الردة فإن ثقة القيادة السياسية لدولة الخلافة الراشدة بتوبة المرتدين وعودتهم إلى الإسلام تحتاج إلى مدة زمنية يثبت فيها القوم صدق توبتهم وحسن إسلامهم، فليس لأولئك القوم ذكر حسن في الإسلام، بل كانوا ممن تأخر إسلامهم، وسبق إلى الردة، وآذى المسلمين.

هذا وقد أصدر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمره إلى قادة الألوية الذين صاروا بعد القضاء على حركة الردة أمراء على حواضر وبوادي جزيرة العرب ألا يستعينوا في أعمال ولاياتهم بمرتد وإن عاد إلى الإسلام، وأن يقتصروا في أعمال ولاياتهم على من لم يرتد فقط، فأجمعوا على ذلك(١٣١)، وبذلك أقصي من ارتد عن الإسلام من عرب الجزيرة وإن عاد إليه عن شغل وظائف الدولة المدنية، فضعف مركز المرتدين الأدبي والاجتماعي بصورة عامة في أمصارهم وبين عشائرهم، فندموا على تأخر إسلامهم وتسرعهم إلى الردة، لكنهم

---

(١٣٠) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٣٩، ١٤١، ١٤٤.

(١٣١) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٤١.

بصورة عامة ظلوا على إسلامهم منذ أن رجعوا إليه بعد ردتهم، لم يبدلوا، ولم يغيروا، ينتظرون الفرصة؛ ليكفروا عن وزر الردة وآثامها، ويبرهنوا للخليفة وغيره من أفراد الأمة حسن إسلامهم وصدق توبتهم.

ولما شرعت دولة الخلافة الراشدة في القيام بالفتوحات الإسلامية لتبليغ الدعوة ونشر الإسلام خارج جزيرة العرب فرح القوم حيث سنحت لهم فرصة المشاركة في ميادين الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، إلا أن ذلك لم يتم، فقد أصدر أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمره إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم اللذين عهد إليهما القيام بالفتوحات الإسلامية في جبهة العراق: لا يغزون معكم أحدٌ ارتد عن الإسلام وإن عاد إليه حتى أرى رأيي، وفي رواية: لا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو، وقال لهما: استنفروا من قاتل أهل الردة، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلم يشهد الأيام التي وقعت في العراق والشام في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد ممن ارتد من عرب الجزيرة الذين عادوا إلى الإسلام بعد القضاء على حركة الردة(١٣٢).

كان لقرار أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنع من ارتد عن الإسلام ثم عاد إليه من المشاركة في الفتوحات الإسلامية وقعه النفسي والاجتماعي على أولئك القوم، فقد أدركوا أن الردة أوجدت بينهم وبين من سبق إلى الإسلام من عرب الجزيرة وأبلى فيه بلاءً حسناً واستقام على دينه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوارق دينية وأدبية واجتماعية.

لم يتغير الوضع الاجتماعي لمن ارتد عن الإسلام من عرب الجزيرة ثم رجع إليه خلال خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لقرب عهد الردة، ولعدم ثقة أبي بكر الصديق بعدد من زعماء العرب المرتدة الذين

---

(١٣٢) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٤١، ٣٤٧، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٢، وابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٥١١.

رجعوا إلى الإسلام، يروون عنه أنه قال في مرضه الذي توفي فيه: "وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس الكندي ضربت عنقه، فإنه تخيل إليّ أنه لا يرى شراً إلا سعى فيه وأعان عليه"(١٣٣).

المبحث الثاني: تسوية المشاكل الاجتماعية لحركة الردة

رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الردة قد مضت لسبيلها، وأن من ارتد من عرب الجزيرة رجع إلى الإسلام، واستقامت حاله، وحسن إسلامه، وصدقت توبته، وإن بقي نزر يسير جداً من زعماء العرب المرتدة ما زالوا يعطون من الصدقة تألفًا لقلوبهم، فإن هؤلاء ليس لهم سند أدبي واجتماعي في عشائرهم، فهم يمثلون أنفسهم فقط، هذا وقد سلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهجاً واضحاً في تسوية مشاكل الردة، حيث رأى أن الردة قد أوجدت بين من ثبت على إسلامه من عرب الجزيرة بعد وفاة الرسول ﷺ، ومن ارتد عن الإسلام، ثم رجع إليه فوارق اجتماعية واضحة، فعقد العزم على إزالة تلك الفوارق، فعرب الجزيرة يمثلون قاعدة عريضة للمجتمع الإسلامي، فلابد لهذه القاعدة أن تكون مستقيمة في عقيدتها، متفقهة في دينها، عزيزة في نفسها، تشعر بعزة الإسلام وكرامته، قوية في روابطها الدينية والاجتماعية، وقد ارتكز منهج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تسوية المشاكل الاجتماعية لحركة الردة على محورين:

المحور الأول: فداء سبي العرب ورده إليهم

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أمر قادة الألوية الذين وجههم لقتال المرتدين ألا يقبلوا من أحد إلا الإسلام، فمن أبى سبيت نساؤه وذريته نكاية به، ونتيجة لذلك فقد وقع عدد من نساء وذرية من ارتد من بني حنيفة باليمامة وكندة وأهل دبا باليمن(١٣٤) وغيرهم في أيدي

---

(١٣٣) البلاذري، مصدر سابق، ص ١٢٣، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٣١، والذهبي، مصدر سابق، ص ١١٨.

(١٣٤) الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٩٩.

المسلمين، وكان العرب بصورة عامة وعرب الجزيرة على وجه الخصوص يعدون السباء مذلة ومهانة، يروى عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: بكى يوم جيء بأسارى جزيرة قبرص، فلما سأله جبير بن نفير عن سر بكائه في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، قال: إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، فسلط الله عليهم السباء، وإذا سُلِّط على قوم السباء فليس لله فيهم حاجة(١٣٥).

فلما استخلف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى أن الاحتفاظ بسبي العرب أيام الردة يعد إذلالاً للعرب وضعفاً بهم، ويروى عنه قوله: إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً وقد وسع الله وفتح بلاد العجم، وقال: "لا أملك على عربي للذي أجمع عليه المسلمون"(١٣٦).

واستشار عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها، ومن ذلك بشرى بنت قيس بن أبي الكسيم ظلت عند سعد بن أبي وقاص، فقد ولدت له عمر، وزرعة بنت مشرح ظلت عند عبدالله بن عباس، فقد ولدت له علياً، وخولة بنت إياس من سبي بني حنيفة ظلت عند علي بن أبي طالب، فقد ولدت له محمدا(١٣٧)، وجعل عمر فداء كل إنسان ما بين ستة أو سبعة أبعرة، وقد خفف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بني حنيفة وكندة وأهل دبا بعُمان مقدار الفداء لكثرة القتل في رجالهم، وقدر حال من لا يقدر على الفداء، فتتبع المعنيون بالمسألة نساءهم في كل مكان، ففدوهن(١٣٨)،

---

(١٣٥) الطبري، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٦٢، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٨، وابن كثير، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٢٩.

(١٣٦) الواقدي، مصدر سابق، والطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٤، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٠.

(١٣٧) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٤٠، والكاساني: أبو بكر ابن مسعود بن أحمد (ت ٥٨٧هـ) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، نشر مطبعة الإمام بمصر، د. ت، ج٦، ص ١٢٠، وابن كثير، مصدر سابق، ج١٢، ص ٣١٣.

(١٣٨) الطبري، مصدر سابق، وابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦٠.

ومن جهة أخرى نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أمر الأزديين الموقوفين في دار رملة بنت الحارث بالمدينة المنورة، وكانت عدتهم ثلاثمئة رجل من المقاتلة، وأربعمئة من النساء والذراري(١٣٩).

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد هم بقتل رجالهم؛ لأنهم شحوا على أموالهم، ومنعوا الزكاة، وطردوا عامله عليهم "حذيفة بن عمرو"، وتعاونوا مع مرتدي اليمن من كندة وغيرها من قبائل اليمن عصبية(١٤٠)، فكان الموقف يتطلب من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون حازماً صارماً تجاه من تعجل إلى الردة، أو تعاون مع المرتدين وآذى المسلمين ليفيء القوم إلى رشدهم، ويعودوا لما خرجوا منه، فلما قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن القوم على دين الإسلام، لأني أجدهم يحلفون بالله مجتهدين ما رجعوا عن دين الإسلام، ولكن شحوا على أموالهم، وقد كان منهم ما كان فلا تعجل عليهم، واحبسهم عندك إلى أن ترى فيهم رأيك"، أمر أبو بكر بحبسهم في دار رملة بنت الحارث، فظلوا موقوفين فيها حتى توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١٤١) مساء الاثنين الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة. ولما تولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة، كانت الردة قد مضت لسبيلها، وكان معظم المرتدين قد فاؤوا إلى رشدهم، وعادوا إلى الإسلام، ودخلوا في جماعة المسلمين، فكان الموقف يتطلب من أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تسوية مشاكل الردة، وتوحيد الجبهة الداخلية في جزيرة العرب، لما ينتظر عربها من أعمال جليلة كان في مقدمتها نشر الإسلام وتبليغ دعوته إلى الأمم المجاورة لجزيرتهم.

لذا دعا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأزديين الموقوفين في دار رملة بنت الحارث، فقال لهم: "انطلقوا إلى أي بلد شئتم، فأنتم أحرار لوجه الله تعالى، فلا فدية عليكم". فحمد القوم فعله، ومضوا على وجوههم، فمنهم من

---

(١٣٩) الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(١٤٠) المصدر السابق، ص ١٩٩.

(١٤١) المصدر السابق، ص ٢٠٠.

سار إلى بلاده وأقام فيها، ومنهم من سار إلى البصرة بعد تمصيرها وعمارتها، فنزلها وأقام فيها(١٤٢)، وشارك في فتوحات العراق. وبذلك نجح عمر في تسوية الشق الأول من المشكلة الاجتماعية، فشعر من يعنيه الأمر بعزته وكرامته، وزال عنه الإذلال والمهانة والضعف.

المحور الثاني: الإذن لمن حسن إسلامه من أهل الردة بالمشاركة في الفتوحات الإسلامية

قدم المثنى بن حارثة من العراق إلى المدينة لمقابلة الخليفة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما وصل إلى المدينة وجد الخليفة مريضاً قد عهد بالأمر بعده إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن مرض أبي بكر لم يشغله عن الوقوف على أمر المسلمين في العراق، فلما أطلعه المثنى بن حارثة على مجريات الأحداث في جبهة العراق، وأخبره بعدم استقرار الأوضاع العامة في الأراضي المفتوحة لقلة الجيش الإسلامي هناك، أرسل أبو بكر إلى عمر، فلما حضر عنده أمره أن يستفتح خلافته بندب الناس مع المثنى بن حارثة، فكان أول شيء فعله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته ندب الناس مع المثنى بن حارثة، وحثهم على الجهاد في سبيل الله ورغبهم فيه(١٤٣). لكن الجبهة الإسلامية في العراق تحتاج إلى قوة عسكرية كبيرة، لا تستطيع أمصار جزيرة العرب أن تلبيها في الوقت الراهن إلا بالإذن لمن قد ظهرت توبته وندمه وحسن إسلامه من أهل الردة بالمشاركة في الخدمة العسكرية، فدولة الخلافة الراشدة لا تملك جيشاً نظامياً محترفاً للقتال وحده، بل عمادها على من تطوع من عرب الجزيرة، وقد خرج كثير منهم إلى جبهات القتال في العراق والشام، في حين منع عدد من عرب الجزيرة من المشاركة في الخدمة العسكرية نتيجة لتسرعهم إلى الردة، وقد رجع هؤلاء إلى الإسلام وظهرت توبتهم وندمهم وحسن إسلامهم، وقد نعتهم المثنى

---

(١٤٢) الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(١٤٣) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٤١٤.

بن حارثة بقوله: "إنهم من أرغب الناس وأنشطهم في قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين"(١٤٤)، ومن هؤلاء عدد من أعلام العرب وفرسانهم وشجعانهم كطليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي وغيرهم، وقد ندم كثير من هؤلاء على تسرعهم إلى الردة وما جرى فيها من أعمال، فهذا طليحة بن خويلد الأسدي أحد زعماء الردة ندم على تسرعه إلى الردة، وأسف على ما وقع فيها من أعمال، فلما استخلف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قدم عليه مسلماً تائباً، فلما رآه عمر قطّب في وجهه، ثم قال: "يا طليحة، كيف ترجو النجاة من النار، وقتلت ثابت بن أرقم الأنصاري، وعكاشة بن محصن الأسدي"، فقال طليحة: "يا أمير المؤمنين، ذلكما رجلان أكرمهما الله بالجنة، وساق إليهما الشهادة على يدي، ولم يقتلني بأيديهما، فأكون في النار وأنا أستغفر الله"، ولما عاتبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سجعه الذي سجعه للناس قال: "يا أمير المؤمنين، ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله، فلا تعنيف عليّ ببعضه"، فسكت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأعجب بمقالته، فقربه وأدناه(١٤٥)، وهكذا تبين لعمر حسن إسلام هؤلاء، وندمهم على تسرعهم إلى الردة، وأسفهم على ما بدر منهم من أعمال خلال تلك الفترة، فأراد أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يفصل في أمرهم، وينهي المشكلة الاجتماعية التي أفرزتها حركة الردة، فأصدر أمره إلى المثنى بن حارثة أن يستنفر في طريق عودته إلى العراق من حسن إسلامه وظهرت توبته وندمه من أهل الردة(١٤٦)، ثم أتبع عمر ذلك بخطوة أخرى أكثر شمولية حين أعلن حالة الطوارئ والاستنفار العام في جزيرة العرب لمواجهة الفرس في معركة القادسية، إذ كتب إلى أمراء أمصار جزيرة العرب ورؤساء القبائل فيها يأمرهم: ألا يدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه

---

(١٤٤) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٤١٤.

(١٤٥) الواقدي، مصدر سابق، ص ١٠١، والبلاذري، مصدر سابق، ص ١١٥ - ١١٦.

(١٤٦) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٨.

ووجهتموه إليّ، ولم يستثن عمر أحداً من عرب الجزيرة، ففرح المعنيون بالمسألة حيث انفتح لهم باب الجهاد في سبيل الله، ليكفروا في ميادينه وزر الردة وآثامها، فأقبلوا سراعاً من كل أوب(١٤٧)، فالتحقوا بالخدمة العسكرية، وأبلوا بلاءً حسناً في الفتوحات الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يولّ أحداً من رؤساء أهل الردة على ولاية، أو قيادة جيش، أو على مئة من الجند، فقد عهد إلى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ألا يولي رؤساء أهل الردة على مئة(١٤٨)، وكتب إليه أيضاً: أن شاور طليحة في أمر الحرب، ولا توله شيئاً(١٤٩)، وقد نعت رؤساء أهل الردة الذين رجعوا إلى الإسلام كطليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معديكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح وأضرابهم بالشجاعة، وشدة البأس وسداد الرأي، فكان قادة الجيش الإسلامي في العراق يستشيرونهم في أمر الحرب، ويصدرون عن رأيهم في بعض الأمور، كما فعل النعمان بن مقرن في معركة نهاوند حين أخذ برأي طليحة، فكان النصر حليف المسلمين(١٥٠).

وهكذا نجح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إزالة الفوارق الاجتماعية التي أفرزتها حركة الردة بين عرب الجزيرة، ونجح أيضاً في جعل العقيدة وأخوة الدين من أقوى الروابط بين عرب الجزيرة، فعرب الجزيرة من استقام منهم على دينه بعد وفاة الرسول ﷺ ومن ارتد ثم رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه يمثلون قاعدة عريضة للأمة والمجتمع الإسلامي، وقد أدى عرب الجزيرة دوراً مهمًا على مسرح الأحداث السياسية في الشرق خلال القرن الأول الهجري، إذ عهد إليهم خلال العصر الراشدي تبليغ الدعوة الإسلامية، ونشرها بين الأمم المجاورة لدار الإسلام، فكان لهم دور رائع في ذلك.

---

(١٤٧) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٤٨، ٤٧٨.

(١٤٨) المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥٧.

(١٤٩) الذهبي، مصدر سابق، ص ٢٣٠.

(١٥٠) ابن كثير، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٢٠.

الملاحق

الملحق رقم (١)

كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدة

كتب أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إلى المرتدين كتاباً واحداً هو:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبى ونجاهده.

أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؛ لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى الله رسوله ﷺ، وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١٥١). وقال: ﴿وما جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾(١٥٢). وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١٥٣).

---

(١٥١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(١٥٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(١٥٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حيٌّ قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، يجزيه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾(١٥٤).

ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾(١٥٥).

وقال: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾(١٥٦).

وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن

---

(١٥٤) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(١٥٥) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(١٥٦) سورة فاطر، الآية: ٦.

يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم(١٥٧).

---

(١٥٧) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٠-٢٥١، وابن كثير، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٤٧-٤٤٩، وانظر الواقدي، مصدر سابق، ص ٧١ - ٧٢، والكلاعي، مصدر سابق، ص ٢٧ - ٢٩.

الملحق رقم (٢)

خريطة تبين مواقع حروب الردة والجيوش التي سُيِّرت لها

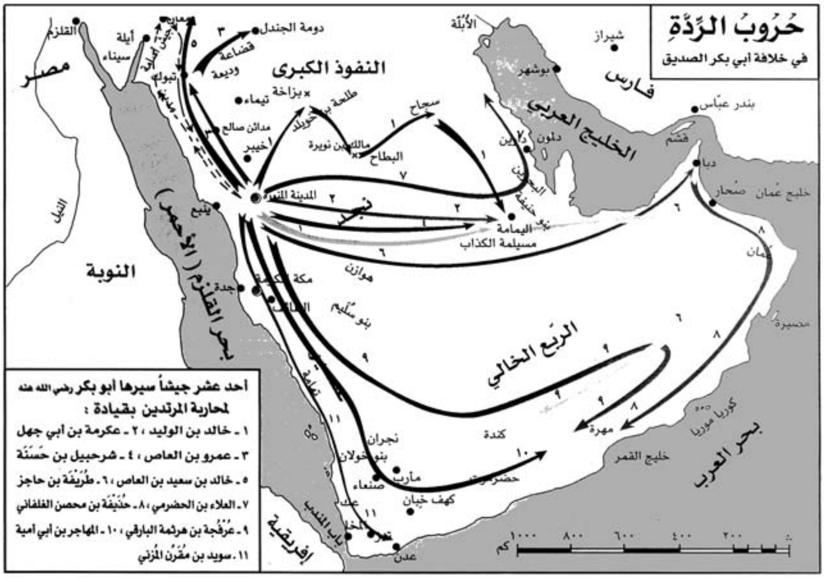
حُرُوبُ الرِّدَّةِ
في خلافة أبي بكر الصديق
احد عشر جيشاً سيرها أبو بكر رضي الله عنه لمحاربة المرتدين بقيادة :
١ ـ خالد بن الوليد ، ٢ ـ عكرمة بن أبي جهل
٣ ـ عمرو بن العاص ، ٤ ـ شرحبيل بن حَسَنَة
٥ ـ خالد بن سعيد بن العاص ، ٦ ـ طُرَيْفَة بن حاجز
٧ ـ العلاء بن الحضرمي ، ٨ ـ حُذَيْفَة بن محصن الغلفاني
٩ ـ عُرْفُجة بن هرثمة البارقي ، ١٠ ـ المهاجر بن أبي أمية
١١ ـ سويد بن مُقَرِّن المُزني
مصر
القلزم
أيلة
سيناء
دومة الجندل
قضاعة
وديعة
تبوك
النفوذ الكبرى
بزاخة
تيماء
طلحة بن خويلد
مدائن صالح
خيبر
مالك بن نويرة
البطاح
سجاح
الأُبُلّة
شيراز
بوشهر
فارس
الخليج العربي
بندر عبّاس
قشم
دارين
دلون
البحرين
دبا
صُحار
خليج عُمان
عُمان
المدينة المنورة
نجد
اليمامة
مسيلمة الكذاب
ينبع
النيل
النوبة
بحر القلزم (الأحمر)
جدة
مكة المكرمة
الطائف
هوازن
بنو سُلَيم
الربع الخالي
مصيرة
كوريا موريا
مهرة
كندة
نجران
بنو خولان
مأرب
صنعاء
حضرموت
خليج القمر
بحر العرب
كهف خبان
عك
المخا
تعز
عدن
باب المندب
إفريقية
١٠٠٠ ٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ ٠
كم